الرسالة

(١ كورنثوس ٣: ٩-١٧)

يا إخوةُ إنَّا نحنُ عاملونَ مع اللهِ وأنتم حَرْثُ اللهِ وبناءُ الله* أنا بحسَبِ نعمةِ اللهِ المُعطاةِ لي كبنَّاءٍ حكيمٍ وَضعتُ الأساسَ وآخرُ يبني عليهِ. فلْيَنظُرْ كلُّ واحدٍ كيف يبني عليه* إذ لا يستطيعُ أحدٌ أن يضعَ أساساً غيرَ الموضوعِ وهو يسوعُ المسيح* فإنْ كان أحدٌ يبني على هذا الأساسِ ذَهَباً أو فِضَّةً أو حِجارةً ثمينةً أو خَشباً أو حشيشاً أو تبناً* فإنَّ عملَ كلِّ واحدٍ سيكونُ بيِّناً لأنَّ يومَ الربِّ سيُظهِرُهُ لأنَّه يُعلَنُ بالنارِ وستَمتحِنُ النارُ عملَ كلِّ واحدٍ ما هو* فمَن بَقيَ عملُهُ الذي بناهُ على الأساسِ فسينالُ أُجرَةً* ومَن احترق عملُهُ فسيخسَرُ وسيخلُصُ هو ولكن كمَن يمُرُّ في النار* أمَا تعلمون أنّكم هيكلُ اللهِ وأنَّ روحَ اللهِ ساكِنٌ فيكم* مَن يُفسِدُ هيكلَ اللهِ يُفسِده الله. لأنَّ

حرّية الإنسان

يهدف كلّ تعليم أخلاقيّ في المسيحيّة إلى اقتياد الإنسان إلى الحرّيّة الحقيقيّة التي تتحقّق بالربّ يسوع المسيح: «تعرفون الحقّ والحقّ يحرّركم» (يو ٨: ٣٢). هكذا يدعونا الإنجيل، وتدعونا الكنيسة، إلى «حرّيّة مجد أبناء الله» (رو ٨: ٢١)، التي تتحقّق عندما نحيا وصايا الربّ ونسمع كلمته ونستنير بتعاليم قدّيسيه. أيّة دعوة إلى حرّيّة خارج الحقّ، وبعيدًا عن المسيح وسيادته على حياتنا، هي انغلاقٌ لقلب الإنسان وأسرُ الخطيئة لنفسه في الأوهام والأهواء المعابة.

الحريّة هي أن «لا يتسلّط شيء» على الإنسان. «كلّ الأشياء تحلّ لي، لكن ليس كلّ الأشياء توافق. كلّ الأشياء تحلّ لي لكن لا يتسلّط عليّ شيء» (١كو ٦: ١٢). بهذه العبارات، أوضح الرسول بولس حدود حرّيّة الإنسان على المستوى الأخلاقيّ. فالمؤمن بالربّ لا يسمح لأيّ فكر أو ممارسة أو عقليّة أن تقيّده أو تحرمه من حرّيّته الممنوحة من الله.

الإنسان خُلق على صورة الله ومثاله، أي على صورة حرّيّته. هو في تكوينه كائن عقليّ حرّ، وسيّد على الخليقة، وهو مدعوّ إلى أن يحافظ على هذه النعمة الفريدة التي تميّزه عن سائر المخلوقات. هو مدعوّ أيضًا إلى النموّ في الحرّيّة والسيادة والحكمة والإدراك، وإلى بلوغ كمال الحرّيّة التي تُعطى له في مسيرة النموّ الروحيّ، وفي عمله على تنمية مواهبه الخلّاقة، وفي العطاء والبذل والتضحية.

تتحقّق الحرّيّة في المسيحيّة بانفتاح الإنسان على نعمة الروح القدس. هي قدرة كلّ واحد منّا على تحطيم أغلال الخطيئة وإبعاد كلّ ما من شأنه أن يؤذيه أو يُدخل الظلمة إلى نفسه. هي انطلاق الإنسان إلى ملء الحياة، في التوبة والتنقية والمحبّة. هي المناعة النفسيّة والروحيّة ضدّ كلّ خطيئة وشرّ، التي يقتنيها المؤمن بتمرّسه على الاعتراف بخطاياه بصدق والتجائه المستمرّ إلى المعونة الإلهيّة. يُحرز الإنسان الحرّيّة بالتربية الصالحة والتدرّب الشجاع على طاعة الله واستمداد القوّة منه.

العدد ٢٠١٩/٣٣

الأحد ١٨ آب

تذكار الشهيدين فلورُس ولَفرس

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر التاسع

يعطي البشر تعريفات مختلفة للحرّيّة بحسب ما يوافق غاياتهم وتطلّعاتهم. يعتبرونها قيمة أخلاقيّة إنسانيّة مجرّدة من كلّ بُعدٍ إيمانيّ. بل هي في حقيقة أمرها، رغم تذرّعها بالدّين والإنجيل في بعض البيئات، تنأى عن أيّ إمكانيّة حقيقيّة لتحرير الإنسان من الداخل، من ذاته وأهوائه وأوهامه الفرديّة والجماعيّة. يبقى متمسّكًا بأقنعته الزائفة ولا يواجه حقيقته، بل يلتهي بالشعارات والزيّ السائد والأمور الراهنة.

أمّا ما يعيشه البعض اليوم باسم الحرّيّة من تفلّتٍ لا مسؤول، وضياعٍ للقيم، وتمحورٍ أنانيٍّ حول الذّات، وإرضاءٍ للشهوات المظلمة، فهو في حقيقته تذرّع غير صادق بأفكار تجرّد الإنسان من أثمن ما في حياته، من صورة الله فيه ومن إمكانيّة النموّ وبلوغ «ملء قامة المسيح» (أف ٤: ١٣). لا يحقّق الإنسان إنسانيّته إلّا في المسيح، وأيّ كلام غير هذا هو ضياع، بل تضليل، لِمن يبحث عن معنى الحياة وعن غاية الوجود.

واجبنا أن نصون أبناءنا من كلّ أذى، وممّن يحاولون أن يسبوهم بأفكارهم الدهريّة العالمية الغريبة عن الإنجيل. واجبنا أن نحميهم من كلّ شرٍّ متأتٍّ من كلّ «حرّيّة» زائفة، وأن نقودهم، كرعاة ومعلّمين وأهل، «إلى ينابيع ماء حيّة». «الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠: ١١) لا سيّما إذا ما «شاهد الذئب مقبلًا». لذا، تتصدّى الكنيسة بشجاعة لكلّ ما من شأنه أن يسيء إلى حرّيّة أبنائها من فنّ أو فكر أو عادات أو انحرافات وأنماط عيش شاذّة.

الحرّيّة صورة لكمال الله ومحبّته. الله، بملء حرّيّته، يخلق الكون من العدم، ويبدع الإنسان، ويسكب فيه نعمته، ويتدّخل في تاريخ الخلاص من أجله. الربّ، من أجل عظم جلال محبّته، وبحرّيّته المطلقة، تجسّد من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، «وقَبِل الصليب طوعًا من أجلنا»، وفتح للإنسانيّة جمعاء الطريق إلى «الحقّ والحياة» لأنّه هو كان وما زال «الطريق والحقّ والحياة» (يو ١٤: ٦).

طاعتنا لله ولناموس المسيح هي الضمانة الوحيدة لحرّيّة الإنسان، ولازدهار حياته «بالروح والحقّ» (يو ٤: ٢٣)، وللفرح الحاصل بخلاص الربّ. وحدها الطاعة لله تضمن حرّيّة الإنسانيّة وانعتاقها من كلّ شرّ وظلمة.

لذلك، يفتخر الرسول بولس بأن يسمّي نفسه في أكثر من رسالة «عبد يسوع المسيح» (رو ١: ١). هذه التسمية في الكتاب المقدّس هي أحد أقوى التعابير عن الحرّيّة الحقيقيّة التي يمكن للإنسان بلوغها. هي اتّحاد الإنسان الكامل بالله، وامتلاؤه من نوره الإلهيّ، وغلبته على كلّ ظلمة وقباحة وخطيئة في هذا الدهر. هذه التسمية هي الانعكاس الكامل لمحبّة الله في قدّيسيه الممجَّدين بالنعمة، والذين أضحوا، بانفتاحهم الكامل على النعمة المحيية والحقّ المحرِّر، آنيةً مختارة للثالوث القدّوس. ألا جعلنا الله القدوس من عداد هذه الآنية المختارة، آمين.

هيكلَ اللهِ مُقدَّسٌ وهو أنتم.

الإنجيل

(متى ١٤: ٢٢–٣٤)

في ذلك الزمانِ اضطرَّ يسوعُ تلاميذهُ أن يدخلوا السفينةَ ويسبِقوهُ إلى العَبْرِ حتى يصرِف الجموع* ولَما صرف الجموعَ صعِد وحدَهُ إلى الجبلِ ليصلّي. ولمَّا كان المساءُ كان هناك وحدَهُ* وكانتِ السفينةُ في وسط البحرِ تكُدُّها الأمواجُ لأنَّ الريحَ كانت مُضادَّةً لها* وعند الهجعةِ الرابعةِ من الليل مضى إليهم ماشياً على البحر* فلمَّا رآه التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا وقالوا إنَّه خَيالٌ ومن الخوفِ صرخوا* فللوقتِ كلَّمهم يسوعُ قائلاً ثِقوا أنا هو لا تخافوا* فأجابه بطرسُ قائلاً يا ربُّ إن كنت أنتَ هو فمُرني أن آتيَ إليك على المياه* فقال تعالَ. فنزل بطرسُ من السفينةِ ومشى على المياه آتياً إلى يسوع* فلمَّا رأى شِدَّةَ الريح خاف وإذ بدأ يغرَقُ صاح قائلًا يا ربُّ نجّني* وللوقت مدَّ يسوعُ يدهُ وأمسك بهِ وقال لهُ يا قليلَ الإيمان لماذا

شكّكت* ولمّا دخلا السفينةَ سكنَتِ الريح* فجاءَ الذين كانوا في السفينةِ وسجدوا له قائلين بالحقيقةِ أنت ابنُ الله* ولمّا عبَروا جاءوا إلى أرض جَنّيسارَتْ.

تأمل

«فإنّ عملَ كلّ واحدٍ سيكون بيِّنًا... أما تعلمون أنكم هيكل الله وأن روح الله ساكن فيكم».

لقد تفجّع الرسول بولس علينا نبويًّا وقال: «ليس مَن يعمل صلاحًا، حتى ولا واحد» (رو ٣: ١٢).. «واعلموا هذا أيضًا، أنّها ستأتي في الأيّام الأخيرة أزمنةٌ عسيرة. فإنّ الناس سيكونون محبّين لذواتهم، جشعين، متعجرفين، متكبّرين، مجدّفين، عاقّين للوالدين، ناكري الجميل، فجّارًا، لا ودّ لهم ولا عهد، مفترين، داعرين، شرسين، أعداءً للصلاح...» (٢ تي ٣: ١–٣). من ثمّ، فالويل لنا، إذ بلغنا حدّ الشر الأقصى. قل لي، من منّا لا يشارك في الشرور الآنفة الذكر؟ أوَلم تتحقق النبوءة فينا؟ أوَلسنا كلّنا شرهين ومحبين للّذّة؟ أوَلسنا كلّنا مفتونين وحمّالين للخبث؟ وخونة لكل فضيلة؟ أوَلسنا كلّنا

الصلاة

الصلاة هي سعيُ الإنسان ومحاولته الإتّصال والتواصل مع الله. بالصلاة، يخرج الإنسان من محدوديّته المخلوقة ليلاقي الخالق غير المحدود. هي ليست فرضًا يُجبرَ الإنسان على تأديته، بل خيارٌ طوعيّ يختار الإنسان أن يقوم به يوميًّا.

تؤمّن الصلاة غذاءً وحياةً للإنسان؛ فكما يأكل الإنسان مهتمًّا بتغذية جسده، كذلك عليه الاهتمام بغذاء روحه، الأمر الذي يتمّ بالصلاة، حيث تلتقي الروح بخالقها فتشعر بالراحة. صحيح أنّ الرّوح تحتاج هذا الغذاء، لكنّ الله منح الإنسان حريّةً مطلقة منذ اللّحظة الأولى للخلق، إمّا أن يقترب منه أو يبتعد عنه، مثله مثل أيّ طفلٍ لديه كامل الحريّة بأن يبقى إلى جانب والديه أو أن يتركهما، لكنّه يعرف بالفطرة ما هو أفضل وموافق له فيلازم والديه. حين يكبر هذا الطفل يبقى متمتّعًا بالحريّة ذاتها، فيكون له إمّا أن يحافظ على علاقة طيّبة مع والديه أو أن يتنكّر لهما ولا يحافظ على أيّ تواصل معهما. إذًا، الحريّة مطلقة، لكنّ العقل الذي خلقنا الله متميّزين به، إلى جانب الضمير المغروس فينا، يجب أن يكونا للإستخدام الصحيح، ولتذكيرنا دائمًا بما هو لخيرنا. لذا، لا يسلك الإنسان سُبُلَ الشرّ إلّا في حال مَرَضيّةٍ تكون فيها نشوة الحريّة مسيطرة عليه، فتتعطّل كلّ مقدرات العقل والضمير. ليست هذه النشوة سوى وليدة عمل الشرّير المضلّ الذي يسعى إلى تضليل الإنسان وتدميره. إستعمل الشرّير هذه الحريّة ليخاطب حوّاء قديّما ويجتذبها نحو عصيان الله، فكانت النتيجة سقوط الجدَّين الأوَّلَين في عالم الموت، ومعهما البشريّة قاطبةً.

زمننا غزاه التطوّر الرقميّ والسرعة، فأصبح كلّ شيءٍ ماديًّا ويسير نحو تسهيل حياة الإنسان، مع ذلك لم يعد هذا الإنسان يجد وقتًا للصلاة. أصبحنا نسمع حججًا عن عدم أهمّيّة الصلاة وفائدتها، وأنّ الله لم يطلب الصلاة بل البشر فرضوها لخلق تبعيّةٍ وعصبيّةٍ دينيّتَين تجبران الإنسان على الارتباط بالله. لقد تناسَوا أنّ الله أعطى الإنسان حريّةً لا حدّ لها. حاليًّا، أصبح الإنسان المصلّي يُعتَبَر رَجعيًّا وممارسًا لطقوس لا ضرورة لها. المفارقة أنّ التيّارات الداعية إلى تلك الأمور تتناسى أنّ البشريّة سعت، منذ القديم، للتعبير عن حبّها للّه، محاولةً التواصل مع الله بشتّى الوسائل. إذا نظرنا القبائل التي تقطن الغابات والمناطق التي نعتبرها متخلّفة، لَوجدناها تمارس طقوس الرقص والغناء عرفانًا للّه. الشعوب غير المتحضّرة ما زالت حتّى اليوم تحافظ على علاقتها بالله، أمّا نحن الذين نملك ملء الحقيقة وقد عرفنا المسيح ابن الله، فماذا نفعل؟ الحضارة التي نتغنّى بها هي كالحيّة التي أغوت حوّاء قديمًا، هدفها زيادة الشرخ بين الإنسان والله. النقطة المحوريّة في هذا السجال مع غير المؤمنين هي أنّ الصلاة حاجةٌ للإنسان لا للّه. إذا صلّينا، لا يزيد الله ولا ينقص. لم يُسمع قطّ بأنّ إنسانًا تضرّر من الصلاة، بينما نسمع آلاف الشهادات التي تُظهر لنا

القيمة الشفائيّة للصلاة، وكم أعطت صلوات أشخاصٍ قدّيسين نِعمًا لمحتاجيها.

ظهرت أهميّة الصلاة عندما علّمنا الربّ يسوع المسيح كيف نصلّي حين أعطانا الصلاة الربّانيّة (أبانا الذي...) لنتلوها معترفين باللّه أبًا لنا، وطالبين أن نكون أبناءه بالأعمال الحسنة والتسليم التامّ له. المسيح كان مثالنا في الصلاة، وهو لم يفرض علينا كلماتٍ نردّدها بل كان هو يصلّي بدوره. قبل حادثة طرد الباعة من الهيكل، كان الربّ يسوع صاعدًا إلى الهيكل ليصلّي، وبذلك أظهر لنا قيمة الصلاة الجماعيّة. أيضًا، عند بدء كرازته، دخل الهيكل وفتح السفر وقرأ من إشعياء النبيّ قبل أن يتمّ طرده من الهيكل. إلى ذلك، علّمنا المسيح الصلاة الفرديّة عند الشدائد والمصاعب، إذ انفرد عن تلاميذه قبل الصلب ليصلّي، وأطال الصلاة، ليعود ويجدهم نيامًا. كما أنّه رفع عينيه إلى السماء مصلّيًا قبل تكثير الخبز. أمّا الحادثة الأهمّ التي أدهشت اليهود، فهي عندما أقام الربُّ لعازرَ الرباعيّ الأيّام الذي أنتن. لقد كان بمقدور ربّنا أن يقيم صديقه بسلطانه الذاتيّ، لكنّه رفع عينيه إلى فوق وشكر الآب على مسمع من الحاضرين لكي يؤمن الجميع بأنّه مرسَلٌ من الله، وليعلّمنا أن الشكر واجبٌ والصلاة هي اللّغة المُستعملة في هذا الشكر.

ليست الصلاة حالةً تنتفي الحاجة إليها مع مرور الزمن. فكما أنّ العاشقين لا ينفصلان رغم مرور الأيّام وتبدّل الظروف، بل على العكس يزيد الرباط بينهما، هكذا الصلاة هي الرابط بين الإنسان والله الذي، رغم تغيّر جميع الظروف، يبقى الميناء الذي ترتاح فيه النفوس.

احترام اسم الله

إن الخادم لا يتجرّأ أن يدعو سيده باسمه ومن دون حاجة وكيفما كان. أما نحن فنتلفظ باسم ملك الملائكة من دون حاجة وبلا اكتراث. إنك غالبًا عندما تأخذ الإنجيل تغسل يديك ثم تأخذه باعتبار وورع وخوف. أما اسم ملك الإنجيل فتلفظه من دون حاجة وتحمله على لسانك. فلنتعلّم من القوات السماوية كيف تلفظ اسم الرب: إنها تلفظه بارتجاف وخوف وانذهال. يقول إشعياء: «رأيت الرب جالسًا على عرش عال رفيع وقد ملأ الهيكل طرفه. وفوقه السارافيم قيامًا لكلٍ ستةُ أجنحة بإثنين يستر وجهَه وبإثنين يستر رجليه وبإثنين يطير ويصيح أحدهم بالآخر ويقول قدوس قدوس قدوس هو رب الجنود، الأرض كلّها ممتلئة من مجده» (إش ٦: ١–٣).

القديس يوحنا الذهبي الفم

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

شتّامين ومولعين بالسخرية ومتهوّرين وطائشين؟ أَولسنا كلّنا مبغضين لإخوتنا ومنتفخين ومتعجرفين ومتكبرين ومفعمين بالغرور؟ أَولسنا كلّنا مرائين وحسودين وعنيدين؟ أَولسنا كلّنا متوانين ومتقلّبين وكسالى؟ أَولسنا كلّنا مهملين لوصايا المخلّص وممتلئين شرًّا؟ أَولم نصبح هيكلًا للأوثان بدلاً من أن نكون هيكلاً لله؟ أَولسنا منازل للأرواح النجسة بدلاً من أن نكون مساكن للروح القدس؟ أَوليست مناشدتنا لله الآب ادّعاء؟ أَولم نصر أبناء الجحيم بدلاً من أن نكون أبناء الله؟ ونحن، الحاملين اسم المسيح العظيم، أَولم نصبح أسوأ من اليهود؟ ولا يغتظ أحدٌ عند سماعه الحقيقة. لأنّ متجاوزي الشريعة – كما هو في الواقع – كانوا يقولون: «لنا أبٌ واحدٌ هو الله» (يو ٨: ٤١)، بيد أنّهم سمعوا من المخلّص: «إنّ أباكم أنتم هو إبليس، ورغبات أبيكم تبتغون أن تحقّقوا» (يو ٨: ٤٤).

القديس مكسيموس المعترف